# الول.. الول.. الول..

للقصصي السوفياتي : جورجي جوليا

ترجمة : خيري حماد

« جورجي جوليا ، شاعر وقصصي سوفياتي حديث • ولد في عام ١٩١٣ ، وشرع في الكتابة وهو في السابعة عشرة من عمره • أصدر قصته الأولى « الانتقام » في مطلع الثلاثينات ، وما لبث أن أعقبها بقصة « حكايات الموقد » • لكن شهرته لم تذع الا بعد أن أصدر قصة « الربيع في ساكين » ، وهي القصة التي قوبلت بعاصفة قوية من الاستحسان عند القراء ، والتي تحدث فيها عن مسقط رأسه في جبال القفقاس ، حيث تنتشر الثلوج فوق هامات الجبال وقممها ، وحيث تجرى الانهار ، مارة بالوديان والاخاديد ، لتقذف بمياهها الى البحر الأسود •

« وسرعان ما توالت قصصه وفي مقدمتها « المدينة الطيبة » و « الضيوف السود » و « كاما » و « البيت الكستنائي » • وقد وضع عددا من القصص التاريخية استقاها من مصر وبلاد الاغريق وبلاد الرافدين والقفقاس •••

•• وهذه القصة القصيرة التي نتولى تعريبها اليوم ، هي من أحدث القصص التي وضعها ••• »

***

تدفق الناس كالسيل العرم، وسرعان ما اكتظ فندق القرية ، بالوافدين وقد تعالى ضجيجهم ، واشتدت جلبتهم • واضطر أصحاب الفندق الى اخراج كل ما في خزائنهم من فراش وأغطية ، بينما ظل « السماور » مشغولا باعداد الشاى للنزلاء • وهرع عمال الكهرباء الى اصلاح كل ما في الفندق من مصابيح ، بينما سارع النجارون الى تصليح النوافذ واحكام اغلاقها طلبا للدفء في طقس يناير الشديد البرودة ، اذ تراكمت الثلوج حتى وصلت درفات النوافذ المطلة على الفناء الخارجي •

وقد اجهدت العمة « باشا » نفسها في الاشراف على كل شيء ، فما حلت الساعة العاشرة من الليل ، حتى كان كل ما في الفندق على أحسن ما يرام• وبدا أن جميع النزلاء قد سارعوا الى غرفهم ، اذ أضيئت الانوار الكهربائية في كل حجرة من الحجرات •

وراحت العمة تعد السجلات ، وتهيىء « فواتير » الحساب للنزلاء الذين اعلنوها

عن عزمهم على مغادرة الفندق في الصباح. وكانوا قد وصلوا الى فندقها يستقلون الزلاقات والعربات التي تجرها الكلاب، أو في شاحنات مكشوفة اصطلت أسنانهم فيها من القر أثناء رحلتهم الشاقة من لننجراد . وبدت الغرفة الارضية الدافئة حيث جلسوا يتناولون طعامهم، مريحة لاعصابهم المجهدة .

وخرج أحد النزلاء من غرفته ، ينقر باصبعه باب غرفة الخدم الدافئة ويقول ... هل لي في الدخول طلبا للدفء ؟

وسألته باشا ... وهل أحسست بالبرد في غرفتك ؟

ولم يجب الرجل على سؤالها . وبدا البريق في عينيه وكأن الفرح يغمرهما لسبب لا تعرفه . وجلس قبالتها مطاطئ الرأس ، وقد أسند مرفقيه الى المنضدة التي تجلس اليها . ثم ارخى ذقنه على راحتيه .

وظل الرجل لا ينبس ببنت شفة ، وان تعلقت عيناه بها مبتسما طيلة الوقت. ولم تعره العمة اهتماما خاصا، وان بادلته الابتسام ، المرة تلو المرة . ولم تفارق نظراته وجهها الذي سرعان ماعرته حمرة الخجل. وأحست بالاحرف تتراقص أمام عينيها، وبالسطور تتواثب أمامها ... انها باتت عاجزة عن المضي في عملها .

وازاحت الاوراق من أمامها برفق وهي تقول.. « لا أستطيع أن أعمل .. ترى ماالذي يدعوك الى اطالة النظر الى على هذا النحو ؟.

ولم يحر جوابا . بل تناول لفافة تبغ من جيبه واشعلها ويده ترتجف وكأن شيئا يضايقه . كانت ملامحه تشير الى أنه في الاربعين من عمره. عيناه زرقاوان وصورته جميلة ، وان لفحته بعض السمرة . وذكرتها بعض ملامحه ، بالشاب الذي أقسمت على أن تنتظره حتى نهاية الحرب . ولكن الحرب قد انتهت ، وانقضى على نهايتها نحو من خمسة عشر عاما ، ولم يعد الرجل الذي تنتظر . وشرع الناس منذ أمد قصير يطلقون عليها اسم العمة باشا . فلقد كبر سنها الى حد ما ، وان كانت لم تلحظ كيف تحولت الى «عمة» من العمات وسرعان ما ألفت التسمية ، وغدت تدهش اذا آثر أحدهم أن يناديها باسمها المجرد .

وبذلت قصارى جهدها لكي تستأنف عملها ، ولكن محاولاتها منيت بالفشل. وبات عسيرا عليها أن تعمل ، وهاتان العينان مركزتان عليها. وطوت أوراقها، ووضعت قلمها في مكانه وقالت ... « لا تنظر الى على هذا النحو ... أرجوك ! »

وبدا وكأنه لم يسمعها . فقد غاص في أعماق التفكير بشؤونه ... وفجأة راح يسألها ... « ما عمرك » ؟

ـ آه لقد كبرت .

ـ ولكن اهو سر تخفينه ؟

ـ لا . وما السر في عمري. انني في الثامنة والثلاثين .

ـ انك لا تصدقين .

وراحت تسأله مداعبة ... وهل يعجبك أن أقول انني في الاربعين ؟

فقال وعلائم الجد بادية على محياه .. لا انك اصغر من هذا بكثير .

ومدت يدها دون أن تنطق بحرف واحد الى حقيبة يدها . واخرجت جواز سفرها ، وقدمته اليه ... وفتحه ثم أخذ يقرأ ... « زيمستوفا براسكوفيا ايلاريونوفنا ... عام الولادة ... حقا

انك صادقة ... ثمان وثلاثون ...» واعاد الجواز اليها ...

وقالت ... هل اقنعك هذا ؟

فرد وهو يحدق فيهـا بناظريه .. لا ... انك أصـغر من هـذا بكثير يا براسكوفيا ايلاريونوفنا ... لا تطلعي أحدا على هذا الجواز ... لا سيما وان الصورة فيه غير جميلة ...مع انك فى منتهى الجمال ... ترى هل تعرفين كم أنت جميلة ؟

فقالت ... محتجة .. « أرجوك.. انه خطأ منك أن تسخر منى . أرجو أن تحدثنى عن نفسك بدلامن هذا الحديث.

ـ ولـكن جواز سفرى معـك . اننى فنـان . وصحيح ان الجواز لا يدل على ذلك ... ثم اننى أستلطفك ، وأجد من العسير على أن أقول شيئا ... ولـكن ليس فىجواز سفرى شىء من هذا أيضا ... انظرى الى يديك ، أرجـوك !.. انهما ارستقراطيان... كما كان الناس يقولون فى الماضى .

واختطفت يديها من أمامه وانزلتهما فى حضنهـا ... وقـالت ... انهمـا راحتان عاديتان ... انهمـا تكثران من العمل ... وتكثران من غسيل الملابس والاطباق ...

ومضى الفنان يقول ... « اتسمحين لى برسمك ؟ لم أر عينين كعينيك منـذ أمد طويل . اننى أقرأ الحزن فيهما ... وأقرأ الملل ... أيضا ... ولكن فيهما شيئا من السعادة ...ألا تصدقيننى ؟ اننى أعنى ماأقول .. وانا اقرأ السعادة فيهما » .

وهزت رأسها نفيا ، دون أن تجيب.

وقال الرجل ... أتعرفين يا باشا، اننى مررت وأنا فى طريقى الى هنا بعدد من القرى الصغيرة. اتعرفينها؟ اتعرفين ما راموروشكا مثـلا ؟ أو تعرفين قرية تسـمى ألول ... أليس هـذا الاسـم جميلا ؟.. الول ؟

ـ حقا انه اسم جميل ...

قالت ذلك وهى تائهة فى تفكير طويل عما ذكره عن الحزن والسعادةفى عينيها. وخيل اليها انه يهزأ بها ، وانه لم يكن جادا على الاطلاق ... اذن فهو يريد أن يسخر من نظراتها الساذجة... اذ هل يفعـل أن يتحدث انسـان عن الجمـال والعيون بالنسـبة الى امرأة نصف فى الاربعين من عمرها .

وراح يقول وقد لاحتعلائم الجد على محياه .. وعندما كنت أمر بتلكالقرية، تصورت ما عليـه اسمها من عذوبة لو أطلق على امرأة جميلة ...

وهب الرجـل على قدميـه ومضى الى الباب ، وكأنه يعتزم الخروج من الغرفة لتوه ... ثم قال ... سأناديك منذ اليوم ... الول .

ـ ماذا تعنى ؟

ـ اسمعى يا الول! انظرى الى نفسك ... ان بعض الشحوب يعلو محياك .. وعيناك .. انهمـا اجاصتان .. أجـل اجاصتان ناضجتان .. وشـعرك غزير يكفى لثلاث فتيات .. انظرى الى تلك « الكعكة » التى عقدتها فوق هامتك ! أو تظنين انى لا الحظ كل شى ؟ لقـد رتبت أمرى على أن أرى كل شىء ... وانى لأرى ان ارسـمك وكأنك شـابة نبيلة من فتيات الاسر الارستقراطية .. هذا ما أريده ...

ـ آ .. أرجوك ! ما هذا !.. أأنا جميلة ؟

ـ أقسـم أنك جميـلة يا الول ... أجل أنت جميلة . وجميلة حقا... انه

جمـال نابع من الغاب ... أو يعجبك أن أقبلك ؟

وهمست وقد ارتسم الرعب على وجهها .. ماذا ؟ ماذا قلت ؟

ودلفت الى الغرفة نزيلة أخرى انها التى تسكن الحجرة رقم (٥) . جاءت تطلب بعض الماء الساخن ... واضطر الفنان الى الخروج من المكان .

وحملت النزيلة صفيحة الماء الساخن ومضت الى حجرتها .

وظلت باشا وحيدة ... ولكنها لم تستطع أن تعمل شيئا .. انهـا تفكر فيه . حاولت أن تبعده عن خاطرها فلم تفلح ... أى طراز من الرجال هـذا الانسان؟ أو كان يصدقها القول؟ ولكن ترى ما الذى يدفعـه الى الـكذب ؟ انه سيغادر نزلها فى الغد ، وقد لا يلتقيان من جديد ... وراحت تحدث نفسـها بقولها ... يا لى من حمقاء ... كيف سـمحت لنفسى أن أحمـل أقواله على محمل الجد ...؟... انه رجل يحب المزاح .. وقد شاء أن يسخر منى ...

ولكن الايمكن أن يكون محقا فى قوله ... لقد بدا رجلا صادقا .. وكانت ملامحه توحى بالثقة به .. الا يجوز لها أن تختبر ، لترى اذا كان صادقا ؟

ولم تضع دقيقة واحدة ... وهرعت تصعد الدرجات الى غرفة نومهـا ... وربطت منديلا تملؤه صور الازاهير على رأسها ، ونثرت المساحيق على وجنتيها ، وصبغت شفتيها بأحمر الشفاه . وتطلعت الى المرآه .. انها ترى وجها فتيا ، وعينين مضيئتين براقتين . لا ، انهـا ليست بالعجوز .

وكانت الساعة قد جاوزت الحـادية عشرة والنصف . وستقطع شركة النور التيار الكهربائى عند منتصف الليل .

وعندما ينتصف الليل ستغلق باب غرفة الخدم على نفسها وتستلقى على الاريكة الصلبة ...

ولكن لم كان ينظر اليها هذه النظرة الغريبة ؟ ولم كلف نفسه عناء التحدث اليها بكل ما قاله ...؟

***

وعاد الرجل اليها ثانية ... ودلف الى الغرفة دون أن يقرع الباب هذه المرة ... وقـال وكأنه لم يلحظ أى تبـدل فيهـا ... لقد جئت يا الول ، لأراك ثانية ... أرجو ألا يسيئك هذا .

وأرادت أن تقول له شيئا ، ولـكن الكلمات توقفت فى حلقها ... عليه أن يفهم أن الوقت متأخر للغـاية ، وأنه لا يليق به ، أن يظل متسكعا فى غرفة الخدمة حتى هذه الساعة المتأخرة ... لقد نام الجميع على أى حال ...

أرادت أن تقول له هـذا كله ... ولكنها لم تستطع ...

وقال والأسى يبدو على ملامحه ... انك لا تفهمينني يا الول ... لقد رأيت كثيرا من النساء فى حياتى .... ولكن .. انت .. أجل أنت .. اننى عاجز عن التعبير ، واختيار الكلمة الصحيحة ... هل أنت متزوجة يا الول ...

وردت بسرعة ، وقد بان التردد على وجهها ... أجل ...

وقال وهو يغتصب ابتسامته .. هذا هو نصيبى ...! اننى أصـل متأخرا دائمـا ... الـول ... اننى لا أكـاد أصدقك .

وخيل اليها أنهـا تحس بالمرارة فى حديثه ، وان بدا مبتسما أمامهـا ... لم لاتصدقه القول؟ كان عليها أن تعترف له ، بأنها ما زالت تجهل الحب ، وانهـا قضت حياتها كلها ، متلهفة اليه ...

وانها تجاوزت سنى الشباب ، وهى ما زالت تنتظر .. كان عليها أن تقول له، بأن كل ما يستهوى المرأة عادة ، قد مات فى قرارة نفسها ... انها لم تعد « باشا » ، بل « العمة باشا » ، وليس فى هذا شك ... ارادت أن تقول له هذا ، ولكنها لم تستطع .

وأحست بالارتباك . وارتبط لسانها فهى لاتستطيع النطق. وبدا انه لم يكن أقل منها حيرة واضطرابا ، وقد وقع فجأة أسير جمال هذه المرأة البسيطة الساذجة .

واقترب منها ، ثم مال عليها ، وهو يهمس فى أذنها ... « أرجوك ... على اى حال ، قد أحرم من رؤياك مدة طويلة ... »

وقالت وهى ترتعش ... وما الذى تريده ؟

ـ اريد تقبيل يدك يا الول ...

وراح يقبل يدها ، دون أن يسمع موافقتها ... وبدت وكأنها تقاوم هذه الرغبة ...

ـ انك الول ... هل تسمعين ! انك الول ...

وهرع الى الباب ، فأمسك بمقبضه بقوة ... وتوقف عنده لحظة واحدة .. ثم دلف خارجا ...

وأحست وكأنها معلقة بين الموت والحياة .. ووقفت وقد تصلب جسمها ولم تتحرك الا عندما وصل الى مسامعها وقع خطاه ، وهو يسير فى الممر ... وأدارت المفتاح فى قفل الباب ، واغلقته، ثم استقلت على الاريكة ...

أحست وكأن النار تأكل كل جزء من جسدها .

ولم تمض دقائق ، حتى كان النور قد انطفأ تلقائيا ، اذ انقطع التيار الكهربائى عند منتصف الليل .

وتوافد النزلاء عليها فى صباح اليوم التالى يطلبون جوازات سفرهم . ودفع كل نزيل حسابه ... كان الانتعاش باديا على وجوههم ، والضجيج يسود النزل كله .. وانقضى وقت طويل... قبل أن يجيئها .. كان آخر من يدلف الى الغرفة من النزلاء

وبادرها بقوله ... صباح الخير يا الول !

كان الشحوب يعلو وجهها .. ولكن شحوبها زادها جمالا فى عينيه . واسلمته جواز سفره ، دون أن تنبس ببنت شفة ، وتناولت معه النقود ، واعادت اليه ما يتبقى له عندها ...

وراحت تسأله بصوت خفيض ....

وعلت الدهشة وجهه وهو يقول... ما ظنك فى ... هل انت غاضب على ؟ ولماذا اغضب منك يا الول ، بحق السماء؟

ـ هل نسيت ؟ لقد قبلت يدى .

كانت على مقربة منه .... ولكن يديها ظلتا وراء ظهرها ...

وقال الفنان ... «انك جميلة... بل انت رائعة .... يجب ان يكون اسمك عذبا كاسم الول .... الوداع يا الول .... لنأمل فى ان نلتقى ثانية عما قريب ... هل تعرفين الانتظار ؟

وسمعت اصدقاءه ينادونه .. كانوا قد أخذوا مجالسهم على ظهر الشاحنة ... وكانوا يودون الاسراع فى السفر.

ومضت خارجة الى الفناء ... تشيعهم .. وبدأت الشاحنة حركتها، عندما قفز الفنان اليها .. وعاد يلتفت اليها وهو يناديها بصوت كله سعادة.. الول .. الول .. الول ..

ووصل مدير الفندق فى التاسعة.. ورآها تقف على النافذة..كانت هادئة ساكنة ، تنظر الى الثلج المتساقط .. انه كالعهن المنفوش ، تلذ مرآه لكل من يقبع وراء زجاج النافذة فى غرفة دافئة.

وهتف بها المدير قائلا ... ياعمة باشا !

وبدت وكأنها لم تسمعه .

ـ ياعمة باشا ...

والتفتت اليه بتمهل..كانت الدموع تملأ عينيها .. وبدت آثار المساحيق على وجهها الشاحب الاسمر .. وكانت حمرة الشفاة لا تزال على شفتيها ... بينما كان شعرها منسدلا بنظام على كتفيها .. انها ترتدى أحسن ما لديها من جوارب ... والحذاء جديد جميل .. ولباسها ، على غير عادتها ، مهندم جميل . وقد اتشحت بوشاح قرمزى لفت به عنقها ... وبان نحرها الذى تعودت ان تخفيه ، ابيض كالثلج ، بل كالسكر الناصع البياض .

وذهل مدير الفندق ... لقد وجد من العسير عليه ان يتميز فى هذه الفتاة الجميلة التى يراها ، العمة باشا ، التى يعرفها .. انها فتاة ، خلقت من جديد ولا تشبه العمة باشا .. ولم يكن هذا المدير الذى نقل الى الفندق ، من مؤسسة كبيرة ، قبل وقت قصير ، يؤمن بالمعجزات .. ولكنه الآن يكاد يذهل من هذه المعجزة التى يراها ..

وراح يسألها .. احقا انت الرفيقة زيمتسوفا ؟

واحنت راسها بالايجاب ...

ـ ولكن هل حدث ما يزعجك أيتها الرفيقة ؟

وقام من مجلسه .. وقدم اليها مقعده ..

ولكنها رفضت خارجة من الغرفة وهى تجهش بالبكاء ... لقد خرجت فتاة جميلة ... اسمها الول ...

ومسح المدير جبينه بيده ، ثم تناول سماعة الهاتف .. وسرعان ما أعادها الى مكانها ... فقد غير فكره ... ووقع نظره على ورقة بيضاء أمامه .. ليس فيها الا كلمة واحدة ... انها الول...

وحلق المدير فى أجواء الخيال ... وهو يحدث نفسه ... انها امراة جديرة بك ... وهل ثمة من اصدقائى من هو أعزب حتى الآن ؟ ... آه ... يا لها من امراة ... ماكرة ... لقد كانت تتظاهر بأنها امراة نصف ...

وراح يركض وراءها .. وهويهتف بها ... الول .. الول ..